



اسم المقال: الأمير ديبس بن صدقة المزيدي الأسيدي طموحه السياسي ودوره في الصراع بين أفراد الأسرة السلجوقية (511 - 529هـ / 1117 - 1135م) - دراسة تاريخية سياسية -
اسم الكاتب: راميا ماجد الخضور، أ.د. اكتمال اسماعيل
رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/10461>
تاريخ الاسترداد: 2026/04/09 09:28 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>



Prince Dubis Bin Sadaqa Al-Mazydi Al-Asadi His Political Ambition And His Role In The Conflict Between Members Of The Seljuk Family (511-529 AH / 1117-1135 AD)

- Political historical study-

Ramya majid Al-khadour¹, Dr. Aktmal Ismail

¹Phd Student , University Of Damascus, Faculty Of Arts and Human Sciences, Department of History.

² Professor, University of Damascus, Faculty of Arts and Human Sciences, Department of History.

Abstract:

The Arab Emir Dubis bin Sadaqa al-Mazydi was described as a "wandering knight" who had a prominent role and imprint in deepening the conflict between members of the Seljuk family at an important stage of Arab and Islamic history during the sixth century AH / twelfth century AD.

The Mazidi emirate in Hilla, during the reign of Dubis bin Sadaqa, turned into a center of Arab resistance against Seljuk control in light of the recovery of the Abbasid Caliphate and its quest for liberation from this control.

The research deals with Dabees' quest and his political ambition to expand his influence and establish his emirate's position not only in the Middle Euphrates region, but also between forces with conflicting political ambitions on the political scene in Iraq, and to show his war actions directed against the Seljuk Sultanate, and to clarify his motives for these moves, and the results he reaped and the disclosure of his use of all means to reach his political ambition.

The research attempts here to put an objective evaluation and judgment on the role of Dubis bin Sadaqa, who paid with his life as a price for the volatility of his loyalty at an important stage intertwined with events and political developments in Iraq.

Keywords: Dubis bin Sadaqa, Al-Hilla, The Mazyads, Seljuks of Iraq, Abbasid caliphate.

Received: 30/7/2023

Accepted: 20/8/2023



Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

المقدمة:

تقود دراسة الشخصيات التاريخية إلى فهم دور الفرد في حركة التاريخ، وقد احتفظت صفحات التاريخ العربي والإسلامي بأسماء شخصيات يمكن وصفها بالشخصيات الجدلية، حيث أثارت حولها حالة من الخلاف بين المؤرخين لما صنعتها وأحدثته من أعمال وسلوكيات، فتراوحت آراءهم ما بين الإدانة والإنكار إلى التبرئة والتبرير والتسويغ لأفعالها، وتعد شخصية "ديبس بن صدقة المزدي" مثال جلي على هذه الشخصية الجدلية التي استحوذت على اهتمام المؤرخين العرب والمسلمين، فقد نال ديبس حظاً من الجدل والاختلاف نتيجة الدور الذي شغله في تاريخ العراق خلال عصر السيطرة السلجوقية، لاسيما أنه انخرط في الحياة السياسية بعد وفاة والده "صدقة بن منصور" في بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، لكنه لم يكن مجرد زعيم لقبيلة بني أسد وأميراً على مدينة الحلة في منطقة الفرات الأوسط فحسب بقدر ما كان صانعاً لكثير من الصراعات السياسية ومحركاً لها خلال المدة الزمنية الممتدة ما بين عامي "511 - 529هـ / 1117 - 1135م".

أهمية البحث وإشكالياته:

تتبع أهمية الدراسة من كونها موجهة لغرض الكشف عن دور الأمير العربي ديبس بن صدقة المزدي وبصمته البارزة في الصراع بين أفراد الأسرة السلجوقية، ومعالجة طموحه السياسي ومساعيه في مرحلة مهمة مليئة بالأحداث والتطورات السياسية في العراق، وقد برزت الإشكاليات المتعددة حول شخصية ديبس وأعماله الحربية الموجهة ضد السلطنة السلجوقية، وتبلورت الإشكالية حول دوافع ديبس في تحركاته، فهل كان ديبس مدفوعاً بتحركاته بدافع قومي عربي غيور على البلاد العربية من التسلط التركي السلجوقي؟، أم مدفوعاً بدافع مذهبي ضد أفراد الأسرة السلجوقية هدفه إيقاع الخلاف بينهم لتحقيق المزيد من المكتسبات؟، أم كان دافعه سياسي بحث لإثبات مكانته ومكانة قبيلته بين القوى المتصارعة على الساحة السياسية في العراق؟، وهل تجاوزت أعمال ديبس حدود الطموح السياسي وعبرت عن تصرفات غوغائية من شخصية مضطربة أحببت الظهور والبروز على حساب القيم والمبادئ مسوغاً لنفسه استخدام كل الوسائل للوصول للأهداف والغايات؟ .

استغلال وزحف بجيشه مسرعاً باتجاه بغداد فدخلها بموكب مهيب سنة 447هـ / 1054م، ونجح في إنهاء سلطة البويهيين⁽¹⁾

(طقوش، 2016م، 61-82)؛ (القوصي، 1993م، 63-74)

التي دامت ما يقارب القرن ونيف، كما استطاع القضاء على تمرد البساسيري وإيقاف تغلغل النفوذ الفاطمي في مقر الخلافة العباسية وفي مناطق نفوذها (ابن الجوزي، 1992م، ج15، 348-350)؛ (الراوندي، 2005م، 169-175)، ومنذ ذلك الحين ارتبط تاريخ بغداد فعلياً بالسلاجقة الذين مارسوا سلطاتهم بموجب تفويض من الخليفة العباسي القائم بأمر الله⁽²⁾ (ابن دحية، 1946، 136-143)؛ (السيوطي، 2003م، 329-332)، لكن هذه القوة الأجنبية الخارجية التي استعان بها العباسيون لانقاذهم من مأزقهم السياسي لم تلبث أن بدأت تهدد كيان الخلافة ووجودها وتعمل على السيطرة على شؤونها، لتبدأ بعدها مرحلة طويلة من نضال الخلافة العباسية ومقاومتها للاستبداد والتسلط السلجوقي (حسن، 1996م، ج4، 23)، (محمود والشريف، د.ت، 577-580)

كان السلاجقة كأى سلطة أجنبية يسعون لتحقيق أهدافهم ومصالحهم الرامية للسيطرة على الدولة العباسية والتصرف بمواردها دون مراعاة مصالح الشعب والخليفة، وأصبحت مقدرات الخلافة الاقتصادية وشؤونها السياسية مقيدة في ظل السيطرة السلجوقية مما أفقدها هيبتها، فقد أصبح الخليفة العباسي مجرداً من سلطاته الفعلية ومسلوب الإرادة قليل النفوذ، "ليس له من الأمر إلا الاسم، ولا يتعدى حكمه بابه، وكان في صورة الأمر وهو مأمور" (ابن دحية، 1946م، 144)، تقاسم السلاجقة معه إدارة البلاد بشكل واضح بما يشبه نظام الحكم الثنائي، فاختص السلطان السلجوقي بالسلطات الدنيوية المدنية، بينما حُصرت وظيفة الخليفة بالنظر في الشؤون الروحية الدينية

(الباشا، 1990م، 127-128)؛ (التميمي، 2013م، 463-465)؛ (زهراو مطشر، 1987م، 20-23)؛ (يعقوب، 2004م، 45-46)

(1) - ينتسب البويهيين إلى أبي شجاع بويه من أهالي الديلم الفرس امتازوا بكفاعتهم العسكرية مما أتاح لهم السيطرة على المشرق العربي الإسلامي في عهد العباسيين في القرنين 4-5 الهجريين ما بين عامي (334 - 447هـ/945-1055م)، وقد تخلصت الخلافة العباسية من سيطرتهم عليها بمساعدة السلاجقة .
(2) - القائم بأمر الله : هو أبو جعفر عبد الله بن عبد القادر بالله أحمد بن المتقي إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل ، ولد سنة 391هـ/ 1001م ، بويع بالخلافة عقب وفاة والده القاهر في ذي الحجة سنة 422هـ/ 1030م وفي أيامه حدثت فتنة البساسيري، توفي سنة 467هـ/ 1074م وكانت مدة خلافته ما يقرب من 45 عاماً .

كما استحدثت السلاجقة مناصب عدة بهدف ضبط أمن العراق وإدارة شؤونه والاستئثار بالسلطة فيه، كالعميد والشحنة اللذان دائماً ما تحالفا في إدارة شؤون العراق لصالح السلطان السلجوقي⁽¹⁾ (حلمي، 1975، 213)؛ (أبو النصر، 2001م، 296-305). لقد طغت تجاوزات السلاجقة وكثرت أعمال الظلم والتعسف والمصادرات من قبلهم بحق الشعب العراقي، وقد أشارت المصادر التاريخية لحدوث العديد من الاضطرابات في بغداد نتيجة استباحة السلاجقة ونهبهم لأموال الناس وهمجيتهم في التعامل مع سكان مدينة بغداد مما أدى لفقدان الأمن فيها، ومن بين هذه الحوادث ما جرى في بغداد سنة 448هـ/1056م عندما أمر السلطان طغرليك بهدم الدور والأسواق والدروب القريبة من موقع داره مما أدى لكثرة عمليات القتل والسلب (ابن الجوزي، 1992م، ج4، 16، 4-5)، وقد رافق هذه الاضطرابات تدهور الأوضاع الاقتصادية إلى حد لا يطاق تمثلت بحدوث موجات غلاء الأسعار، بالإضافة إلى الإهمال المتعمد من قبل السلاجقة لمشاريع الزراعة والري، إلى جانب فرض السلاجقة ما شاعوا من الضرائب دون النظر إلى أحوال الناس فترتب على ذلك آثار قاسية تمثلت بحدوث المجاعات ما بين عامي 448-450هـ / 1056-1058م، ومما زاد في صعوبة الوضع الاقتصادي ما تعرض له العراق من كوارث طبيعية كالفيضانات المدمرة وتكرار مواسم الجفاف والقحط ما بين سنتي 448-543هـ/1056-1148م الأمر الذي أدى لانتشار الأوبئة والأمراض (المشهداني، 1984م، 195-196)؛ (يعقوب، 2004م، 60 - 66)، ولم تقتصر آثار التسلط السلجوقي في العراق على الجوانب الاقتصادية، بل تأثرت الأحوال الاجتماعية بالوجود السلجوقي بصورة سلبية واضحة فظهرت العديد من الظواهر والممارسات اللاأخلاقية كانتشار المواقير⁽²⁾ (ابن منظور، د.ت مج5، 161) والمفسدين ودور الفسق في بغداد، بالإضافة إلى ازدياد نشاط العيارين⁽³⁾ (الدوري، 2007م، 62-64)، فضلاً عن تأجيج السلاجقة للتناحر المذهبي والعمل على خلق الفتن وتغذية الانقسامات لإحداث الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد بهدف إضعافه فدائماً ما تسعى السلطة المحتلة لإثبات وجودها وفق قاعدة فرق تسد (الحصونة والعيساوي، 2011م، 203-216)؛ (التميمي، 2013م، 469-471).

(1) - العميد هو منصب إداري يُعين صاحبه من قبل السلطان السلجوقي مباشرة كعين له لمراقبة الخليفة وتحركاته وكمسؤول عن جباية الأموال وعمارة البلاد، وشكل أيضاً منصب الشحنة إحدى الوظائف الإدارية المستحدثة في العصر السلجوقي حيث تمتع صاحب هذا المنصب بسلطات واسعة بصفته المسؤول الأمني في العراق وفي بغداد على وجه الخصوص .

(2) - المواقير جمع الماخور ويُقصد به بيت الريبة ومجمع لأهل الفسق والفساد وبيوت للشرب والخمر .

(3) - شكل العيارون فئة من فئات المجتمع العراقي ، اقترن ظهورها لأول مرة على مسرح الأحداث في العالم العربي والإسلامي بفتنة الأمين والمأمون ما بين عامي (195 - 198هـ / 811-813م) ، وقد مثلوا حركة اجتماعية ثورية بين العامة نتيجة التباين الاقتصادي وسوء وضعهم المعيشي فيهم من أهل الصنائع وبيعة الطرق وأهل السوق ، كانت حركتهم ضد ممثلي السلطان الأجنبي والتجار في الأسواق ، برزت حركتهم بصورة خطيرة في العصر السلجوقي .

ولعل المؤرخ البنداري أبلغ من قدم صورة عن أوضاع العراق في ظل السيطرة السلجوقية وذلك بقوله: " كانت السدة الشريفة الإمامية قد منيت بجور الأعاجم.. ولم تزل بغداد مظلمة مشحونة منهم.. والدماء والفروج مستباحة مهدرة.. والخليفة يُقدر عليه ولا يقدر ويُعذر به " (تاريخ آل سلجوق، 1900م، 214).

ثانياً- قيام الإمارة المزيديّة في مدينة الحلة:

ينتمي أمراء بني مزيد إلى قبيلة بني أسد العدنانية العربية العريقة التي تعود بأصولها إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (الحلي، 2000م، ج1، 362-365)؛ (جواد، 1993م، ج1، 375-399).

أشارت الروايات التاريخية إلى تواجد بني أسد شمال هضبة نجد في شبه الجزيرة العربية بين جبلي أجا وسلمى، فلما جاءت قبيلة طيء من اليمن إلى منطقتهم غلبتهم على ديارهم فاتجهوا نحو منطقة الفرات الأوسط في العراق (ابن خلدون، 1999م، مج3، 662-663)؛ (القزويني، 1963م، 23-24)، لكن يؤخذ على هذه الروايات عدم توضيح تاريخ محدد لزمن حدوثها.

والواضح أنه كانت لهم حروب وغزوات شهيرة قبل الإسلام على سبيل المثال لا الحصر حريهم مع الشاعر امرئ القيس بعد قتلهم لوالده الملك حجر بن الحارث الكندي⁽¹⁾ (ابن الأثير، 1987م، مج1، 399-402)؛ (المولى بك وآخرون، 1942م، 112-116).

وقد أشارت الروايات التاريخية إلى إسلام بني أسد في عهد الرسول (ﷺ) في عام الوفود سنة 9هـ/631م، وقيل أن إحدى آيات سورة الحجرات قد نزلت بهذه الحادثة⁽²⁾ (القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 17)؛ (ابن الأثير، 1987م، مج2، 157)؛ (الواحدي النيسابوري، 1992م، 396)، ووثق لهذه القبيلة دورٌ متميز في مساندة الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) في حرب الجمل سنة 36هـ/656م ومعركة صفين سنة 37هـ/657، وفي العصر الأموي مناصرتهم لثورة الحسين بن علي بن أبي طالب، ومشاركتهم معه في معركة كربلاء 61هـ/680م (خماش، مج2، 258).

(1) - لم يتم العثور على تاريخ محدد لهذه الواقعة، لكنها تعرف بيوم حجر أحد أيام العرب قبل الإسلام .
 (2) - قيل في تأويل قوله تعالى: " يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين " أن وفداً من بني أسد قدموا على الرسول (ﷺ)، وقالوا: أتيناك قبل أن ترسل إلينا رسولاً، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، ويبدو أن إسلامهم في البداية كان ضعيف .
 7 من 38

النيل⁽¹⁾ (الحموي، 1977م، مج 5، 334)؛ (ابن عبد الحق، 1992م، مج 3، 1413) مركزاً لها (الجلي، 1965م، 14-15)؛ (ناجي، 1970م، 63-69).

خلف ديبس الأول بن أبو الحسن علي الملقب بـ "نور الدولة أبو الأغر" أبوه في حكم الإمارة المزيدية، وشهد عهده زوال الدولة البويهية وقيام دولة السلاجقة ودخولهم العراق سنة 447هـ / 1054م، غير أن ديبس هذا تورط في صراع طويل مع بعض القبائل العربية في العراق كبني عقيل وبني خفاجة، وعلى الرغم من ذلك فقد ازداد نفوذ بني مزيد في عهده حيث استمر في الحكم ستة وستون عاماً حتى وفاته سنة 474هـ / 1081م (البنداري، د.ت، 66)؛ (الجلي، 1965م، 15-18)؛ (ناجي، 1970م، 75-94)؛ (Bosworth, vol 5, p24)

وإثر وفاة نور الدولة أبو الأغر تولى ابنه بهاء الدولة أبو كامل منصور عرش الإمارة المزيدية سنة 474هـ / 1081م، لكن عهده كما توضحه المصادر التاريخية يعد خالياً من أي حدث سياسي، ولعل السبب في ذلك رغبته في الابتعاد عن الخصومات السياسية وانشغاله بالعلم، غير أنه سرعان ما توفي عام 479هـ / 1086م، فنعاه وزير الدولة السلجوقية نظام الملك الطوسي⁽²⁾ (ابن خلكان، 1978م، مج 2، 128-130)؛ (ناجي، 1970م، 95)؛ (إقبال، 1984م، 69-74) بقوله: "مات أجلُّ صاحب عمامة" (الجلي، 1965م، 19)؛ (حسون، 2013م، 52).

وعلى إثر ذلك تولى سيف الدولة أبو الحسن صدقة بن منصور إمارة بني مزيد سنة 479هـ / 1086م، وعرف بلقب "أمير العرب"، كما ينسب إليه بناء مدينة الحلة⁽³⁾ (الحموي، 1977م، مج 2، 294) عام 495هـ / 1101م واتخاذها عاصمة للإمارة المزيدية (ابن الأثير، 2003م، مج 113، 9)؛ (الزركلي، 2002م، مج 5، 203).

(1) - تقع بلدة النيل بسواد الكوفة بأرض بابل بالقرب من واسط اتخذها المزيدون عاصمة لهم قبل انتقالهم إلى الجامعين " الحلة "، اتخذت اسمها من نهر النيل الذي حفره والي العراق الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 82هـ / 702م، يستمد مياهه من أحد فروع نهر الفرات .

(2) - أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الملقب بالخواجة نظام الملك قوام الدين الطوسي أشهر وزراء الدولة السلجوقية على الإطلاق، ولد بنوقان إحدى مدن طوس عام 408هـ / 1017م وطد الأمر لكل من السلطان ألب أرسلان وابنه ملكشاه ووزر لهما مدة تسع وعشرين عاماً فصار الأمر كله له، بنى العديد من المدارس في سائر ولايات الدولة السلجوقية فيما عرف بالنظاميات، قتل في شهر رمضان سنة 485هـ / 1092م ودفن في أصفهان.

(3) - الحلة علم لعدة مواضع أشهرها حلة بني مزيد مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد.

سارع صدقة بن منصور لبناء عاصمته الجديدة بدلاً من " النيل " عاصمة آبائه، فاختار موقع يدعى " الجامعين " ولم يكن هذا الاختيار عشوائياً بل مدروساً بشكل دقيق لغايات سياسية ، فالجامعين كانت ذات موقع استراتيجي حصين قريب من الماء غرب نهر الفرات، اهتم صدقة بعمارته وأحاطها بسور استغرق العمل به سنتين مابين عامي 498-500هـ / 1103-1106م (ناجي، 1970م ، 110-111)؛ (حسون، 2013م، 50-51)؛ (مرزقان و مانع، 2020م، 7-27)، وهذا ما أكده الحموي بقوله : " كان أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور الأسدي ، وكانت منازل آبائه الدور من النيل ، فلما قوي أمره وأشدت أزره وكثرت أمواله لإنشغال سلاطين السلاجقة بركيارق ومحمد وسنجر أولاد ملكشاه بن ألب أرسلان بما تواتر بينهم من الحرب ، انتقل إلى الجامعين موضع في غرب الفرات ليبعد عن الطالب وذلك في محرم سنة 495هـ / 1101، وكانت آجمة تأوي إليها السباع " (الحموي، 1977م ، مج2، 294)، فتخوف صدقة على إمارته من نزاع أبناء السلطان ملكشاه على العرش دفعه للانتقال من النيل لمكان آخر أكثر أمناً مستغلاً صراعمهم وانشغالهم عنه ، كما دفعه طموحه في شغل دور مؤثر في الأحداث السياسية في العراق وربما أحلامه التوسعية والانفصالية عن الدولة السلجوقية إلى بناء العاصمة الجديدة (الحلة).

لم يكتف صدقة بما حققه من إنجازات سياسية وعسكرية عبر تحصين عاصمته بل توجه بأنظاره إلى المناطق المجاورة لها بعد استغلاله لأوضاع العراق المضطربة، وهذا ما أشارت إليه المصادر التاريخية كما أنه انخرط وورط نفسه في الصراع بين ابني السلطان السلجوقي ملكشاه (بركياروق ومحمد) حيث كان متقلباً بولائه بينهما ، لكن النزاع بين الأخوين حسم سنة 498هـ / 1103م بموت بركياروق وجلس محمد على العرش السلجوقي بصورة رسمية وهذا يعد إيذاناً بانتهاء دور صدقة السياسي المتماذي مما دفع السلطان محمد لوضع حد لتطلعاته ومواجهته عسكرياً (ابن الأثير، 2003م، مج9، 113)؛ (حسون، 2013م، 53-66).

بدأت هذه المواجهات عندما التقى صدقة بن منصور بجيش السلطان محمد السلجوقي بالقرب من موقع يقال له "النعمانية"⁽¹⁾ (الحموي، 1977م ، مج 5، 294)؛ فكانت النتيجة هزيمته ومقتله مع عدد كبير من أنصاره سنة 501هـ / 1108م (الحسيني ، 1933م ، 80) ؛ (ابن الأثير ، 2003م ، مج9، 117-118)؛ (ابن العماد الحنبلي، 1990م، مج6، 5)؛ (الجلي، 1965م، 28-

(1) - تقع بلدة النعمانية بين واسط وبغداد ، على ضفة نهر دجلة من أعمال رافده " الزاب الأعلى " .
10 من 38

(30) ، وبذلك انتهت حياة الأمير الطموح صدقة بن منصور المزدي على يد السلطان محمد بعد تورطه في الصراع بينه وبين أخيه بركياروق واستقوائه عليه وإجارتته لمعارضتي السلطان (ابن الأثير، 2003، مج9، 113-116)؛(ناجي ، 1970م، 129)؛ (حسون ، 2013م، 65-66).

لكن لم تسر الأمور كما يشتهي السلطان محمد من إحداث فراغ في سدة السلطة المزديّة فسارع إلى معالجة الأمور قبل أن تتفاقم ، وتشير الروايات أن السلطان محمد قد أسر " ديبس بن صدقة " الذي كان برفقة والده عند مقتله ، لكنه سرعان ما عفا عنه وفك أسره ، وقام بإرسال أمانٍ إلى أرملة صدقة يستدعيها من البطيحة⁽¹⁾ إلى بغداد، وجمعها مع ابنها ديبس وأخبرها أنه لم يكن لديه نية بقتل زوجها لكن القدر غلبه (ابن الأثير، 2003، مج9، 118-119)؛ (الحلي، 1965م، 31)، وبالتأكيد يعد هذا الكلام مواساة وتعزية ولا يعبر عن نوايا السلطان الحقيقية تجاه أحد خصومه الشديدين كصدقة، وهنا لابد من الإشارة إلى أن ابن الجوزي ذكر أن السلطان محمد قد صادر من أرملة صدقة الكثير من الجواهر وبلغ خمسمائة دينار، واستحلف ابنها ديبس "على خلوص النية"، وعدم السعي بالفساد و الامتناع عن أي عمل عدائي ضد السلطان (ابن الجوزي، د.ت ، ج17، 108-109) ؛ (ابن الأثير، 2003، مج9، 119) .

• ثالثاً- ظهور ديبس بن صدقة على مسرح الأحداث السياسية في العراق:

نشأ ديبس في كنف والده صدقة بن منصور صاحب النفوذ السياسي في الحلة ، حيث شغل أدواراً عدة في حياة أبيه منها:

1. كان ديبس رسول والده صدقة عام 496هـ/1102م لتسلم مدينة هيت⁽²⁾ (الحموي، 1977م، مج5، 421)؛ (القزويني، د.ت،

281) من العقيليين وضمها للإمارة المزديّة " بأيسر سعي وأهون تكلف " دون معارضة السلطان محمد (ابن الأثير، 2003،

مج9، 64-65)؛(ناجي، 1970م، 111-112)؛(الحلي، 1965م، 24).

(1) - البطيحة أرض واسعة في العراق بين واسط والبصرة ، وسميت بذلك لأن المياه تبتطحت فيها أي سالت واتسعت في الأرض .

(2) - هيت بلدة على الفرات من نواحي بغداد، سميت بذلك لأنها في هوة من الأرض .

2. سجل ابن الأثير لديبس موقفاً سياسياً يعبر عن حنكته أثناء خلاف أبيه صدقة مع السلطان محمد، إذ اقترح على أبيه إرسال الأموال والهدايا للسلطان محمد وعرض الصلح معه بدلاً من الحرب .

كان ديبس مرافقاً لوالده في بعض حروبه ومنها حربه الأخيرة ضد السلطان محمد ، وقيل أن والده صدقة كان يجهزه كرسولٍ أو رهينة للسلطان لكن ذلك لم يتم لتطور الأحداث ضد المزيديين ، وهنا لابد من القول أن احتجاز الرهائن قد شكل عملاً سياسياً مقبولاً طبقته الكثير من القوى والدول قديماً دون أن ينظر إليه كفعل مستهجن ، فقد عد وسيلة ناجعة لتحقيق أهداف سياسية (ابن الأثير، 2003، مج9، 113-116)؛ (أبو الفداء، د.ت، ج2، 222-223)؛(ناجي، 1970م، 129)؛ (حسون، 2013م، 65-66) .

لم يكن قسم ديبس بالولاء للسلطان محمد كافياً لإعادته إلى الحلة إمارة أبيه وأجداده ، فقد بقي السلطان محمد محتفظاً بديبس في خدمته بعد إطلاق سراحه عشر سنوات من سنة 501هـ/ 1108م حتى وفاة السلطان سنة 511هـ/ 1117م (ناجي ، 1970م، 130)، ويعود ذلك بالتأكيد إلى شك السلطان محمد بولاء ديبس وطاعته وقلّة الثقة بإخلاصه له، وإن وجوده لديه يضمن له عدم قيامه بأي تمرد ضد السلاجقة انتقاماً لمقتل أبيه ، وأشارت المصادر التاريخية إلى أن ديبس أظهر الرضى والقناعة بما آل إليه وضعه وعدم التفكير بالرجوع إلى الحلة ، وقد أفتعت هذه الحالة التي كان عليها ديبس السلطان محمد وجعلته يعامله بالحسنى (البنداري، د.ت، 111)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحلة كانت إمارة بلا أمير بين عامي 501-511هـ/ 1108-1117م (ناجي، 1970م، 130) ، فقد ولى السلطان محمد بعضاً من أمرها إلى شخص يدعى " سعيد بن حميد العمري " الذي كان قائد جيش صدقة وذلك لقناعته أن تسليمها لشخص غريب عن أهلها سوف يسبب المزيد من المشكلات، وقام أيضاً بتوزيع البعض الآخر منها للقوى الكردية المتحالفة مع بني مزيد (الحلي، 1965م، 31-32) .

توفي السلطان محمد بن ملكشاه في الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة 511 هـ / 1117م (ابن خلكان، 1978م، مج5، 73)؛ (الذهبي، 2004م، 3717) بأصفهان⁽¹⁾ (الحموي، 1977م ، مج1، 206-210)؛ (القزويني د.ت، 296)، وعادت بوفاته التيارات المتخاصمة فيما بينها على السلطة للظهور، وبدأ مجدداً عهد تعدد السلاطين في الدولة السلجوقية، فقد خلف السلطان محمد من

(1)-أصفهان : مدينة عظيمة مشهورة بإقليم الجبال يقال لها " أصبهان " و "أسبهان " فتحت في خلافة عمر بن الخطاب ، اشتهرت بخصوصية تربتها وصحة هوائها وعذوبة ماءها، وحقق أهلها بالعلوم والصناعات .
12 من 38

الأبناء خمسة ذكور هم : محمود وطغرل ومسعود وسليمان شاه وسلجوق شاه ، وكان السلطان محمد خلال فترة مرضه قد عين ابنه الأكبر محموداً خلفاً له فى الملك (العمرانى، 1999م، 208، 211)؛ (ابن الجوزى، د.ت ، ج17، 159)؛ (ابن الأثير، 2003م ، مج9، 167)؛ (ابن العبرى، 1994م، 347).

جلس السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه على العرش تنفيذاً لوصية أبيه وهو يومئذ صغير السن لم يتجاوز عمره أربع عشرة سنة فأعلن نفسه سلطاناً عاماً للسلاجقة وخطب له بالسلطنة ببغداد بموافقة الخليفة المستظهر بالله⁽¹⁾ (الذهبي، 2004م ، 829 – 830)؛ (السيوطى، 2003م، 335 – 338) فى شهر محرم سنة 512هـ/1118م (ابن خلكان، 1978م، مج5، 182)؛ (حسنين، 1975م، 96).

عمل دببىس على استغلال فرصة وصول السلطان محمود إلى العرش السلجوقى ، فطلب منه السماح له بالعودة إلى الحلة ، فوافق السلطان محمود على طلبه وأعادته إلى الحلة كأمر شرعى لها سنة 512هـ/ 1118م ، وضم له واسط والبصرة بالإضافة إلى الحلة ، مما يشير إلى العلاقة الجيدة التى جمعت السلطان محمود ودببىس آنذاك ، أما عن السبب الذى دفع السلطان محمود للموافقة على إعادة دببىس لإمارته فى الحلة فربما رغبته فى فتح صفحة جديدة مع معارضى أبيه وكسبهم إلى جانبه والحصول على تأييدهم فى وجه خصومه الطامعين بالعرش (أبو الفداء، د.ت، ج2، 230)؛ (ناجى ، 1970م، 130)؛ (حسون ، 2013م ، 68-69) .

حكم الأمير دببىس بن صدقة الحلة ما بين عامى 512- 529هـ/ 1118 – 1134م ، وتميز عهده بأهميته السياسية وكثرة الأحداث المتضاربة فيه ، فقد كانت سمة عهده الأساسية عدم الاتزان والتقلب فى الولاء ما بين سلاطين السلاجقة (ناجى ، 1970م، 130 – 131).

• رابعاً- دور الأمير دببىس بن صدقة فى الصراع السلجوقى الداخلى ومواقفه السياسية المتناقضة:

1. انحياز دببىس إلى جانب سنجر فى نزاعه ضد ابن أخيه محمود بن محمد سنة (513هـ/1118م):

(1) - الخليفة المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله ولد سنة 470هـ/ 1077م، استخلف عند وفاة أبوه وحكم خمس عشرة سنة ما بين عامى (487 - 512هـ/1094 - 1118م).
13 من 38

اعترض الملك سنجر بن ملكشاه صاحب خراسان على تولي محمود بن محمد عرش السلطنة السلجوقية ، فقد كان يرى أنه الأحق في سلطنة السلاجقة فهو كبير الأسرة السلجوقية وعميدها بعد وفاة أخويه السلطانين بركياروق ومحمد ، فأظهر عدم رضاه عن تولي ابن أخيه الطفل ذي الأربعة عشر عاماً للعرش رافضاً الانصياع لأوامره، وأعلن نفسه سلطاناً للسلاجقة ، وبدأ يعد العدة ويتحين الفرصة للتوجه إلى العراق لمواجهة ابن أخيه محمود (ابن الأثير ، 2003م، مج9، 182) ؛ (الراوندي، 2005م، 255) ؛ (حلمي، 1975م ، 52- 53).

توجس رجال محمود المحيطين به خيفة من هذا التحرك فهم على علم بالمصير الذي ينتظرهم إذا ما قدم سنجر إلى العراق، لذا لجأوا إلى الطرق السلمية وأرسلوا الرسل المحملين بالهدايا إلى سنجر للتفاوض والصلح معه، إلا أن سنجر الذي كان قد وضع عرش السلطنة هدفاً له لم ترضه هذه التنازلات، وأخفقت بذلك كافة الجهود والمحاولات المبذولة لإصلاح الأمر بين العم وابن أخيه، ووجد محمود نفسه مع رجاله أمام حربٍ لا مناص من خوض غمارها (ابن الأثير ، 2003م، مج9، 182- 183) ؛ (إقبال، 1984م، 388- 389).

التقى الفريقان في الثاني من شهر جمادى الأولى من سنة 513هـ/ 1118م بالقرب من ساوه⁽¹⁾ (الحموي، 1977م، مج3، 179) ؛ (القزويني ، د.ت، 386) ، ف وقعت بينهما حرباً شديدة، و كانت الغلبة فيها لصالح سنجر ، و الهزيمة لجيش محمود حيث تشتت جمعه (ابن الجوزي ، 1992، ج17، 172) ؛ (ابن الأثير ، 2003م، مج9، 183- 184) ، أما عن مصير محمود فقيل أنه فر لاجئاً لأصفهان (ابن الأثير، 2003م، مج9، 184) ؛ (الراوندي، 2005م، 258).

وهنا لابد من الإشارة إلى إغفال المصادر التاريخية لدور الأمير ديبس بن صدقة في الحرب الدائرة بين السلطان سنجر وابن أخيه محمود وعدم إيضاح موقفه بشكل جلي ، واكتفائها بذكر إرساله من قبل سنجر بعد انتصاره على عسكر ابن أخيه محمود للخليفة المسترشد بالله العباسي " 512-529هـ/ 1117-1134م" ببغداد ليعلمه بهذا النصر ويطلب منه إقامة الخطبة باسم سنجر كإشارة للتأييد والاعتراف الرسمي به سلطاناً على السلاجقة ، فأجابه الخليفة إلى طلبه ، وتم في السادس والعشرين من شهر جمادى

(1) - تقع مدينة ساوه بين الري وهمدان في الوسط على مسافة واحدة منهما، والنسبة إليها ساوي أو ساوجي ، مدينة كثيرة الخيرات والمياه .
14 من 38

الأولى سنة 513هـ/1118م قطع خطبة محمود وإقامة الخطبة للسلطان سنجر (ابن الأثير، 2003م، مج9، 184)؛ (طقوش، 2016م، 204)، وهذا يدل على أهمية الاعتراف من قبل السلطة الدينية ممثلة بالخلافة العباسية بسلطنته.

إن موقف ديبس المنحاز إلى جانب سنجر في نزاعه ضد ابن أخيه السلطان محمود يكتفه الغموض وعدم الفهم، فمن المنطقي أن يلتزم ديبس بجانب السلطان محمود بوصفه الحاكم في العراق دون الاكتراث لسنجر حاكم خراسان البعيدة عن منطقة نفوذ ديبس، لكن من الواضح أن ديبس أراد التودد لسنجر على يوسع بذلك نفوذه ويزيد من قوته، وربما كان هدفه إظهار قربه من سلطان السلاجقة القوي أمام الخليفة العباسي، مع أن المصادر التاريخية هنا لم تشر إلى ما قصده ديبس من وراء تأييده للسلطان سنجر (ناجي، 1970م، 135-136)، لكنها أوردت نبأ يفيد بزواج ديبس من ابنة سنجر هدفه من هذا بالتأكيد تحقيق غاية سياسية ومطامح شخصية وهي التقوي بالسلاجقة والتقرب منهم (الحلي، 1965م، 35، 38).

كما قام ديبس أيضاً بعمل آخر من الممكن عدّه في صالح السلطان سنجر وهو التصدي لشحنة بغداد منكوبرس الذي كان مشاركاً مع السلطان محمود في حربه المذكورة إلا أنه بعد الهزيمة هرب عائداً إلى بغداد ناهباً عدة مناطق، لذلك سير إليه ديبس بن صدقة جيشاً لصدّه ووضع حد لاعتدائه، فكان ذلك بمثابة تودد للسلطان الأعظم سنجر وتأكيد على انتصاره (ابن الأثير، 2003م، مج9، 187)؛ (النويري، د.ت، ج 27، 9).

آل الأمر بين السلطان سنجر وابن أخيه محمود للصلح في شهر شعبان عام 513هـ/1118م (ابن الأثير، 2003م، مج9، 185)؛ (إقبال، 1984م، 390)، وعد هذا الصلح والاتفاق بين الرجلين بمثابة التاريخ الفعلي و الرسمي لظهور دولة سلاجقة العراق، وعد السلطان محمود بن محمد أول سلاطينها تابعاً لدولة السلاجقة العظام في خراسان الممثلة بالسلطان الأعظم سنجر والتي باتت تعرف باسم دولة سلاجقة خراسان تمييزاً لها عن دولة سلاجقة العراق (حسين، 1982م، 118-119)؛ (أمين، 1965م، 94-95).

مارس سنجر عقب معركة ساوه سنة 513هـ/1118م صلاحياته كسلطان أعظم وذلك من خلال سلسلة إجراءات هدف منها استمالة أبناء أخيه السلطان محمد و من يدعمهم من القادة العسكريين وكسب تأييدهم والحد من عصيانهم ونزاعهم من خلال إقطاعهم ولايات الدولة السلجوقية وأراضيها (الراوندي، 2005م، 258، 260)، فاحتفظ بخراسان لنفسه، وقام بمنح أبناء أخيه

السلطان محمد ألقاب ملوك، وقام بتوزيع الولايات الأخرى بينهم (الحسيني، 1933م، 89-90)؛ (البنداري، 1900م، 122)، وبالتأكيد كان هذا التقسيم إيداناً بالفتنة والصراع بين أبناء السلطان محمد الذين تولى أمرهم الأتابكة⁽¹⁾ (حسن، 1996م، 4، 61-93)؛ (لين بول، 2006م، 181-201)؛ (Poole, 1925, 159-171) فأصبحوا يحركونهم على العصيان والحرب فيما بينهم، وباتت الدولة السلجوقية مقسمة على الرغم من وجود سلطانٍ واحدٍ لها هو السلطان سنجر.

2. تحريض ديبس للملك مسعود بن محمد على الثورة ضد أخيه السلطان محمود :

لم يدم سرعان مفعول الاتفاق بين محمود وعمه سنجر طويلاً إذ سرعان ما انتفض مسعود ضد أخيه السلطان محمود سنة 514 هـ / 1120م ، طالباً السلطنة لنفسه بتحريض مجموعة من الأمراء وفي مقدمتهم الأمير ديبس بن صدقة و الأتابك الأمير جيوش بك صاحب الموصل (ابن الأثير، 2003م، مج9، 191، 516)؛ (حسنين، 1975م، 103-104)؛ (محمود والشريف، د.ت، 616-617)، وهنا يمكن القول أن إذكاء نار الصراعات والخلاف بين الأخوة تعكس عدم الخبرة السياسية والعسكرية لهم ، واستغلال صغر سنهم من قبل الأمراء وغيرهم لإرضاء مصالحهم وطمعاً في زيادة إقطاعاتهم.

حاول السلطان محمود جاهداً ثني أخيه مسعود عن التمرد ، وإعادته لطاعته ووعده بالصفح لكن مسعود رفض الانصياع واستمر بعصيانه ، فما كان من محمود إلا إنهاء هذا الوضع فسار إلى أخيه و دارت بينهما الحرب عند أسد أباد⁽²⁾ في شهر ربيع الأول من سنة 514 هـ / 1120م (الحموي، 1977م ، مج 1 ، 176)، وانتهت المعركة لصالح محمود الذي عفى عن أخيه مسعود وأتابكه وصالحهما (ابن الجوزي، 1992م ، ج 17، 186)؛ (الحسيني، 1933م ، 96-97).

لكن ما هو مصير الأمير ديبس بن صدقة المحرض الأساسي للملك مسعود في تمرده على

أخيه؟.

(1) - تعود نشأة نظام الأتابكيات إلى زمن قوة الدولة السلجوقية في عهد السلطان ملكشاه ويقوم هذا النظام على أن يعهد السلطان بتربية أبنائه الذكور وإدارة شؤونهم لأمراء من أتباعه ويمنحهم حق الوصاية عليهم ، ويحدد لكل أمير منهم منطقة معينة يحكمها باسم ابن السلطان ، لكن في زمن ضعف سلاطين السلاجقة ونزاعهم الداخلي أصبح هؤلاء الأمراء هم المسيطرين على هذه الإقطاعات فحولوها إلى إمارات وراثية لهم ولأبنائهم من بعدهم ، فكان لهذا النظام دور كبير في تفتت الدولة السلجوقية إلى إمارات صغيرة متناحرة في ما بينها.

(2) - تقع مدينة أسد أباد غرب همذان، وهي مدينة أهلة بالسكان كثيرة الخيرات .

يتضح من تلك الحادتين أن العلاقة بين ديبس والخليفة المسترشد كانت مضطربة فما أن تهدأ حتى تعود للتوتر ثم للهدوء مجدداً وهذا ما يشير لطموح كل من الطرفين ورغبته في إخضاع الطرف الآخر لنفوذه، وهذا ما جعل استقرار العلاقة بينهما نسبي لم يلبث أن اهتز سنة 514هـ/ 1120م بعد إخفاق تمرد مسعود التي كانت بتحريض ديبس، عندها دخل ديبس في نزاع مع الخليفة المسترشد لمدة ثلاث سنوات حتى سنة 517 هـ / 1123م، تكررت فيها هجمات ديبس على العاصمة بغداد ، واستعانة الخلافة بالسلطان محمود واستقوائها به لعجزها عن صد هجمات ديبس (ناجي، 1970م، 136-138)،

وهنا يمكن القول أن الاضطراب وعدم التوازن كان يحكم تصرفات ديبس وشخصيته في تلك المرحلة فهو تارة يصير على مهاجمة بغداد دون قدرته على حسم الموقف فيها لصالحه ويفتعل المضايقات للسلطان والخليفة ويرفض عروض الصلح التي يقدمانها رغم ما تحققه له من مكاسب، وتارة أخرى ينطلق للصلح ويعلن خضوعه لسلطتهما في الوقت الذي بدأ فيه السلاجقة يستشعرون تصاعد قوة الخليفة لذلك كانوا يوافقون على الصلح مع ديبس برغبة مبطنه منهم للاستفادة من عصيانه في مواجهة الخليفة.

تفاقت أوضاع العراق سوءاً فعمد الخليفة المسترشد إلى تجييش أهل بغداد وتفريق السلاح والمال بينهم والخروج من بغداد لوضع حد لتجاوزات ديبس ، فدارت سنة 517هـ/1123م معركة حامية بين جيش الخليفة و ديبس عند المباركة الواقعة بين الكوفة وبغداد ، شهدت المعركة كراً وفر من الطرفين حتى انتهت إلى هزيمة جيش ديبس ووقوع الكثير منه في الأسر، بينما هرب ديبس ناجياً بنفسه تاركاً العراق باتجاه الشام (ابن الأثير، 2003م، مج9، 192)؛ (أمين، 1965م، 94-95)؛ (حسن، 1996م، ج4، 348-349)، ومع ذلك فإنه نشط عسكرياً حيث يقال أنه تحالف مع الفرنجة في حصار حلب للاستيلاء عليها سنة 518هـ/ 1124م، لكن محاولاته بالاستيلاء مع حلفاءه على حلب باءت بالإخفاق بسبب تصدي الحلبيين وقوادهم لهذا الحصار (ابن الأثير، 2003م، مج9، 221)؛ (ابن العديم، 1988م ، ج1، 1963-1964).

3. انضمام ديبس للملك طغرل بن محمد في تمرده على أخيه السلطان محمود:

عادت الفوضى والأزمات لتضرب الداخل العراقي مرة أخرى فقد أعلن ديبس بن صدقة الثورة من جديد على السلطان محمود سنة 519هـ / 1124م، لكن هذه المرة غير حليفه السلجوقي فقد لجأ إلى الملك طغرل بن محمد "صاحب ساوة وآبه وسارق وسامان وقزوين وأبهر وزنجان وجبلان والديلم والطاقان" ⁽¹⁾ (ابن حوقل، 1992م، 304-321)؛ (البنداري، 1900م، 122) يحرضه على التمرد على سلطة أخيه محمود والتوجه بحملة عسكرية إلى العراق لطلب الخطبة والسلطنة لنفسه من الخليفة المسترشد وكان هدفه من ذلك هو إثارة الخلافات بين أبناء البيت السلجوقي واستمرار إزعاج الخليفة العباسي (ابن الجوزي، 1992م، ج17، 228)، (ابن الأثير، 2003م، مج9، 232).

لاقت آراء ديبس السياسية وإجراءات السلطة آذاناً صاغية لدى طغرل الذي كان يحدث نفسه بفكرة انتزاع السلطنة من أخيه محمود ولكنه انتظر الفرصة المناسبة، وقد جاءته عند مجيء ديبس إليه فاستقبله وقربه إليه ، وطلب منه ديبس المسير إلى العراق للسيطرة على سدة السلطة فساراً معاً نحو العراق سنة 519هـ/1124م واتفقا على إتباع أسلوب التهديد والوعيد مع الخليفة المسترشد عله يوافق على مطالبهما، ولما تهاهى أمرهما إلى مسامع الخليفة المسترشد اندفع يستجمع قوى أهل بغداد إلى جانبه ويشجعهم على فك الحصار عن مدينتهم وصد هجوم المعتدين وعرقلة مشروعهم (ناجي ، 1970م ، 139)؛ (أمين، 1965م ، 144) .

ضرب الحلفاء طغرل وديبس الحصار حول بغداد ووضعوا خطة للاستيلاء عليها ونهبها، غير أن الظروف السياسية كانت في غير مصلحة المتأمرين ، فقبل أن الأقدار شاءت أن يصاب الملك طغرل بحمى شديدة أقعدته عن تنفيذ المهام الموكلة له ضمن خطته مع ديبس مما اضطره للانسحاب واللجوء إلى عمه السلطان سنجر ، ومن الواضح أن طغرل انسحب بطلب من عمه سنجر نتيجة عدم قدرته العسكرية والسياسية في مواجهة الموقف .

لم ينسى الخليفة المسترشد ما أقدم عليه ديبس فوضع نصب عينيه معاقبته ، فأرسل جيشاً باغته وقواته في منطقة ديالى ⁽²⁾ (الحموي، 1977م ، مج2، 495)، ولما أدرك ديبس الموقف الصعب الذي حل به بمفرده أراد استعطاف الخليفة و كسب عفو فقبل الأرض بين يديه قائلاً: " أنا العبد المطرود فليعف أمير المؤمنين عن عبده " (ابن الجوزي، 1992م، ج17، 228-

(1) - مناطق في إقليمي الجبال والديلم .

(2) - نهر ديالى نهر كبير بالقرب من بغداد .

أبقى السلطان سنجر ديبس محتجزاً لديه ، وكان وضعه وضع الطريد المنفي عن بلاده ليثبت حسن نيته للخليفة ويتقرب إليه بذلك (ابن الجوزي، 1992م، ج 17، 229)، لكن ما لبث ديبس أن بدأ ينهج بخطة جديدة مفادها تحريض سنجر على مد نفوذه إلى العراق وبالتالي العمل ضد الخليفة المسترشد مؤكداً لسنجر وجود تحالف سياسي بين الخليفة والسلطان محمود هدفه الخروج عن طاعته (ابن الأثير ، 2003م، مج9، 233، 247)؛ (ابن كثير، 1990، ج12، 195)؛ (ناجي، 1970 ، 139) .

تعددت الروايات في موقف السلطان سنجر من أخبار تحالف ابن أخيه محمود والخليفة المسترشد بين مصدق لمزاعم ديبس ومشكك بها غير متأكد ، وليقطع الشك باليقين أرسل السلطان سنجر إلى ابن أخيه السلطان محمود رسالة بين له فيها مكانته لديه محذراً إياه من نوايا الخليفة تجاههما موضعاً له أن هدف الخليفة الايقاع بينهما للتخلص منهما واحداً تلو الآخر .

كما طلب سنجر من محمود في الرسالة ذاتها التوجه إلى بغداد للاستيلاء على الأسلحة التي جمعها الخليفة والقبض على وزيره جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة ، راسماً له بذلك السياسة العامة التي يجب عليه التعامل بها مع الخليفة ومما جاء في تلك الرسالة : " أنت يميني والخليفة قد عزم على أن يمكر بي وبك ، فإذا اتفقتما علي فرغ مني وعاد إليك فلا تلتفت إليه، وأنت تعلم انه ليس لي ولد ذكر ، وإنك ضربت معي مصافاً وظهرت بك فلم أسيء إليك وقتلت من كان سبباً لقتالنا ، وأعدتكم إلى السلطة وجعلتكم ولي عهدي وزوجتك ابنتي فلما مضت إلى الله تعالى زوجتك الأخرى ورأيي فيك رأي الوالد... ويجب بعد هذا أن تمضي إلى بغداد ومعك العساكر ، وتقول - للخليفة - أنا سيفك وخادمك وأنت تعود إلى دارك على ما جرت به عادة آبائك ، فإن فعل وإلا أخذته بالشدة ، وإلا لم يبق لك ولا لي معك حكم" (ابن الجوزي، 1992م ، ج17، 231)؛ (ناجي، 1970، 139- 140) .

امتثل محمود لأوامر عمه السلطان سنجر، ومما زاد في إفساد العلاقة بينه وبين الخليفة التحذير الذي وصله على لسان سعد الدولة يرشق الزكوي رئيس شرطة بغداد "الشحنة" التابع للسلجقة، وكان قد خرج من بغداد للقاء السلطان محمود في همدان، وهناك حذره من خطورة تحركات الخليفة العباسي وأهدافه قائلاً: " قاد - المسترشد - العساكر ولقي الحروب وقويت نفسه، متى لم تعاجله بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعاً ومنعك عنه ، وحينئذ يتعذر عليك ما هو الآن بيده "(ابن الأثير، 2003م، مج9، 237)، وفي رواية أخرى قال في المعنى نفسه : "إن لم يُدبّر الأمر في حسم ذلك اتسع الخرق وصعب الأمر، وقد كاتب -

على معاداته وعدم السماح له بالرجوع إلى إمارته الحلة (ابن الأثير، 2003م ، مج9 ، 249) لكن لماذا أصر الخليفة على موقفه ذلك؟ .

من الواضح أن الخليفة المسترشد بدأ يستشعر بقوته ورغبته بأن يكون صاحب النفوذ الأوحى في العراق ، وإن كان خروجه عن طاعة السلاجقة لا بد له من حليف قوي يسانده ويعاضده إلا أنه حتماً لن يكون دببب لعدم ثقة الخليفة به بعد تصرفاته غير المتزنة السابقة بالإضافة ربما لعدم رغبة الخليفة بوجود منافس له كدببب يتمتع بمكانة سياسية و نفوذ بين القبائل العربية في العراق .

أما عن توصية سنجر بتقليد دببب كل من الموصل والشام بدل عماد الدين زنكي فإنها لم تتحقق أيضاً ، والسبب في ذلك أن أخبار هذه التوصية قد وصلت لمسامع زنكي الذي توجه مسرعاً إلى بغداد لإحباط هذا الأمر مستغلاً كره الخليفة لدببب فعرض عليه المال وقدره مئة ألف دينار بهدف إبقاءه على إمارته ، كما لم يكتف زنكي بمراضاة الخليفة بالأموال بل حضر إلى السلطان محمود مؤكداً طاعته ومحملاً بالهدايا الثمينة آملاً من وراء ذلك كسب رضاه وإقناعه في استمرارية ولايته على الموصل وعدم تولية دببب عليها فما كان من السلطان محمود إلا إعادته إلى إمارته (ابن الأثير، 2003 ، مج9 ، 249).

يمكن الاستدلال مما سلف على موقف السلطان محمود الراض لطبات عمه بعودة دببب للحلة وإصلاح حاله مع الخليفة وتوليته الموصل وجعله عيناً لسنجر في العراق، فهو لم يظهر أي حماس لتنفيذها على الرغم من محاولته التي يمكن وصفها أنها جاءت لرفع العتب عنه أمام عمه سنجر .

أما عن مصير دببب فيفهم من المصادر أنه بقي محتظاً به لدى السلطان محمود، إلا أنه استغل ظروف مرض محمود و وفاة زوجته (ابنة سنجر) ⁽¹⁾ (ابن الأثير، 2003 م، مج9 ، 218 ، 249) ؛ (الراوندي، 2005م، 301)؛ (براون، 1954م، 378) التي تصفها المصادر بالمناصرة لدببب وذلك سنة 523هـ / 1129م، فهرب دببب من همدان إلى العراق عائداً لتصرفاته غير المخطط

(1) - أشارت المصادر التاريخية إلى تزويج سنجر ابن أخيه محمود من ابنته على التوالي ، فقد توفيت مهملك خاتون ابنة السلطان سنجر وزوجة السلطان محمود ذات السبعة عشر عاماً سنة 516هـ / 1122م ، فقام بتزويجه من ابنته الثانية (ستي خاتون)، ولعل السبب وراء تصرف سنجر هذا أنه لم يكن له ابن ذكر يرثه فأراد بذلك الحفاظ على نقاء الدماء السلجوقية من الاختلاط بغيرها من الجماعات حماية لعرش دولتهم أيضاً رغبة منه في الحفاظ على استقرار الأوضاع داخل الدولة السلجوقية واستمرار الصلة بينه وبين ابن أخيه محمود ، ولم يتم الوصول إلى نوع المناصرة والدعم الذي كانت تقدمه ابنة السلطان سنجر لدببب بن صدقة .

وافق ابن طغتكين على الطلب وأرسل ديبس إلى زكي الذي أحسن استقباله في الموصل عكس ما كان يتوقع ديبس ، وأكرمه بالهدايا والمال وما يحتاجه من سلاح وخيل ، ولم يتضح الدافع الرئيسي لقيام زكي بمساعدة ديبس ، وبالتأكيد لم يكن من باب الإحسان ، لذا من المتوقع أن دافعه لذلك هو رغبته في كسب تأييد ديبس وقبيلته لتكوين كتلة سياسية يعتمد عليها في تحقيق طموحه السياسي في توسيع نفوذه وتسيّد الموقف في العراق (ابن القلانسي، 1908م، 230-231)؛ (ابن الجوزي، 1992م، ج 17، 263)؛ (سبط ابن الجوزي، 2003م، ج 20، 231-232)؛ (ناجي ، 1970 ، 154-156)؛ (الجلي ، 1965م، 39).

أثار خير وجود ديبس في الموصل زعر الخليفة المسترشد ، فأرسل للسلطان محمود مستجداً به طالباً منه البقاء في العراق مذكراً إياه بما بينهما من وعود قائلاً: "إنك تعلم ما بيني وبينك من العهد واليمين وإني لا أخرج ولا أدون عسكرياً ، وإذا خرجت عاد العدو ومَلِك الحلة وربما تجدد منه ما تعلم " ، فلم يكن من السلطان إلا أن أخبر الخليفة أنه في حلٍ من العهود وله الحرية في التصرف بما تقتضيه الظروف

(ابن الجوزي، 1992م، ج 17، 263 - 264) .

لم تبق الأمور على حالها إذ سرعان ما تغيرت الظروف السياسية إثر وفاة السلطان محمود عام 525هـ/1131م ، وتولي ابنه داوود عرش سلطنة سلاجقة العراق بتدبير قواد أبيه لمدة قصيرة ما بين عامي (525-526هـ/1131-1132م) (ابن الأثير ، 2003م ، مج 9، 259) ؛ (أمين ، 1965م ، 100)، إذ عاشت العراق صراعاً سياسياً مريراً بين الأمراء السلاجقة ، وفي مقدمتهم سنجر وأخوة السلطان محمود "طغرل ومسعود وسُلجوقشاه" الذين دخلوا في صراع مع ابنه داوود ومع بعضهم للسيطرة على العراق ونيل اعتراف الخليفة المسترشد بالله .

كان رد الخليفة المسترشد مفاجئ لكل المنافسين إذ امتنع عن إقامة الخطبة لأحدهم مرجعاً أمر تحديد هوية سلطان سلاجقة العراق إلى السلطان سنجر ، فهو عميد البيت السلجوقي وكبيره لا يخطب لأحد من دون علمه ، وبذلك أخرج الخليفة نفسه ظاهرياً من دائرة الصراع الداخلي السلجوقي (ابن الجوزي، د.ت ، ج 17، 264)؛ (ناجي ، 1970 ، 143) ؛ (طقوش ، 2016م ، 235-236).

صاحب الأمر والنهي في شؤون العراق ، فهو لم يكتف بالسيطرة على بغداد بل بدأ بإرسال رجاله إلى المدن العراقية الأخرى ، فقام بتسيير خادمه " إقبال المسترشدي " إلى الحلة للاستيلاء عليها ، وعلى الرغم من محاولة ديبس انتزاعها منه ، إلا أنه أخفق نتيجة إمداد الخليفة لإقبال المسترشدي ومساعدته في التصدي لديبس ، واللاحق به وهزيمته مرة أخرى بالقرب من واسط(العمراني، 1999م، 217)؛(ابن الأثير، 2003م، مج9، 265)؛(الحلي، 1965م، 39)؛(ناجي، 1970م، 156-157).

سرعان ما عادت الفوضى من جديد إلى العراق فقد احتدم الصراع بين الأخوين مسعود وطرغل وظلت نيران الحرب بينهما مستعرة طيلة عامين 527- 529 هـ / 1132- 1134م تكرر القتال بينهما عدة مرات تبادلاً خلالها النصر والهزيمة حتى وفاة طرغل سنة 529هـ/ 1134م فظفر مسعود بعرش سلطنة سلاجقة العراق واستقر له الأمر دون منازع(الراوندي، 2005م، 306)؛(أمين ، 1965م ، 103-105).

• خامساً - مقتل ديبس بن صدقة ونهاية طموحه السياسي :

كان ديبس بن صدقة منحازاً للسلطان طرغل في حربه ضد أخيه مسعود (ابن الجوزي، د.ت ، ج17، 284) ، وبعد وفاة طرغل سنة 529هـ/ 1134م أشارت الروايات التاريخية إلى دخول ديبس في مفاوضات صلح مع السلطان مسعود بهدف استعادة إمارته في الحلة ، وانتهت هذه المفاوضات بموافقة السلطان مسعود على طلبه (ناجي، 1970م ، 157)، وهذا ما يثير الاستغراب وينبأ بنوايا غير سليمة من قبل السلطان مسعود تجاه ديبس، يدفعه لذلك التطور المفاجئ للأحداث بالعراق فسرعان ما عبرت أعمال الخليفة العباسي المسترشد بالله عن نزعة استقلالية لديه ورغبة في التخلص من التسلط السلجوقي ، وعدم ارتياح لرجحان كفة السلطان مسعود ، فهو لم يكن يريد سلطاناً سلجوقياً قوياً في العراق بل أراد سلطاناً ضعيفاً يمكنه التحكم به، لذلك وقعت الوحشة بين حلفاء الأمس (المسترشد ومسعود) وأودت إلى الصراع بينهما (سلمان، 2010م، 513-514)، أما عن السبب المباشر للصراع بين مسعود السلجوقي والمسترشد فقد أشارت المصادر التاريخية إلى هروب عدد من الأمراء الأتراك ذوي النفوذ من جيش السلطان مسعود خوفاً من غدره بهم فانضم إليهم ديبس بن صدقة موهماً إياهم بانفصاله مثلهم عن مسعود ، فقام هؤلاء الأمراء بمراسلة الخليفة المسترشد وعرضوا عليه الانضمام له والدخول في خدمته ، فرفض الخليفة الأمر كرهاً بديبس وعدها مكيدة

وخطره بشكل نهائي من جهة أخرى (ابن الأثير، 2003م، مج9، 285)؛ (ابن العديم، 1988م، ج1، 3492-3493)؛ (ابن خلكان، 1978، مج2، 264-265)؛

(ابن العماد الحنبلي، 1990م، مج6، 149)؛ (ناجي، 1970م، 158-159)؛ (الجلي، 1965م، 39)، فقد انتهت مهمة ديبس بمقتل المسترشد فكان لابد من التخلص منه لأنه كان مجرد أداة بيد السلاجقة للحد من طموحات الخليفة، وخير من عبر عن هذا الأمر ابن الأثير بقوله: "لم يكن يعلم - ديبس - أن السلاطين إنما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدّة لمقارعة المسترشد فلما زال السبب زال المسبب" (ابن الأثير، 2003م، مج9، 285)، وبذلك يمكن القول أن ديبس قد ذهب ضحية طموحه السياسي .

صفوة القول تعد شخصية ديبس أنموذجاً للشخصية الجدلية ، انقسمت آراء المؤرخين حوله سلباً وإيجاباً بين مادحٍ لخلاله الحميدة ومحباً لجوده وكرمه، وبين مبغضٍ وقادح وصفه بـ " مسعر حرب وجمرة بلاء " (ابن العديم، 1988م، ج1، 3489)؛ (ابن طباطبا، 1966م، 302)؛ (ابن العماد الحنبلي، 1990م، مج6، 149).

ويسوغ ابن الجوزي نهج ديبس السياسي بأنه يعتقد بأهمية الخلافات بين الأمراء السلاجقة فيذكر: " يعتقد - ديبس - أنه ما دام الخلاف قائماً بينهم فأمره منتظم، كما استقام أمر والده صدقة عند اختلاف السلاطين " (ابن الجوزي، د.ت، ج17، 187)، غير أن ابن الأثير قد عد الانتقام المحرك الأساسي لتصرفات ديبس نتيجة لما جرى لوالده صدقة على أيدي السلاجقة معبراً عن ذلك بالقول: " أظهر ديبس الضغائن التي في نفسه وكيف طيف برأس أبيه " ، " غرضه أن ينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلاطين " (ابن الأثير، 2003م، مج9، 191، 193) ،

الخاتمة

يلاحظ المتتبع لأعمال ديبس الحربية الموجهة ضد السلطنة السلجوقية بهدف توضيح دوافعه وطموحه أن سياسته لم تجلب عليه سوى حقد سلاطين السلاجقة والخليفة العباسي ، فقد كانت تحركاته متخبطة دون غاية وهدف واضح فاقدة للتخطيط والرزانة السياسية، ولم تكن سوى إثارة للقلق وتوسيع للخلافات وتعميق للصراع السلجوقي الداخلي في مرحلة مهمة متشابكة بالأحداث

• قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم.

• المصادر العربية والمعربة:

- 1- ابن الأثير، علي بن محمد ، ت 630 هـ / 1232م، 2003م، *الكامل في التاريخ* ، ط4 ، دار الكتب العلمية، 504.
- 2- البنداري، الفتح بن علي الأصفهاني، ت 643 هـ / 1245م، 1900م، *تاريخ دولة آل سلجوق* د.ط ، مطبعة الموسوعات ، 284 ،
- 3- البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين ، ت 470 هـ / 1077م ، 1982م، *تاريخ البيهقي* ، د.ط ، دار النهضة العربية، 813.
- 4- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، ت 597 هـ / 1200م، 1992م، *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، د.ط ، دار الكتب العلمية، 360 .
- 5- الحسيني، أبو الحسن علي، ت . بعد 622 هـ / 1225م، 1933م ، *أخبار الدولة السلجوقية* ، د.ط ، لاهور ، 228 .
- 6- الحسيني اليزدي، محمد بن محمد ، ت 743 هـ / 1342م، 2011م ، *استعراض في تاريخ السلاجقة* ، ط1، دار المدى، 354.
- 7- الحلبي، أبو البقاء هبة الله، متوفى بالقرن 6 هـ / 12م، 2000م، *المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسيديّة* ، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، 366.
- 8- الحموي ، ياقوت بن عبدالله، ت 626 هـ / 1229م، 1977 م ، *معجم البلدان*، ط1، دار صادر.
- 9- ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي، ت 367 هـ / 977م، 1992م، *صورة الأرض*، ط1 ، دار مكتبة الحياة، 432 .

- 10- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت808هـ/ 1406م، 1999م، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من نوي السلطان الأكبر، ط1، دار الكتاب المصري، 1303.
- 11- ابن خلكان، أحمد بن محمد، ت681هـ/ 1282م، 1978م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، د.ط، دار صادر.
- 12- ابن دحية، عمر بن الحسن، ت662 هـ/ 1263م، 1946م، النبراس في تاريخ بني العباس، د.ط، مطبعة وزارة المعارف، 205.
- 13- الذهبي، محمد بن أحمد، ت748 هـ/ 1348م، 2004م، سير أعلام النبلاء، ط1، بيت الأفكار الدولية، 4683.
- 14- الراوندي، محمد بن علي، ت599هـ/ 1203م، 2005م، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 680.
- 15- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله، ت654هـ/ 1256م، 2013م، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ط1، شركة الرسالة العالمية، 510.
- 16- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ت911هـ/ 1505م، 2003م، تاريخ الخلفاء، ط1، دار حزم، 420.
- 17- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك، ت764هـ/ 1362م، 1991م، الوافي بالوفيات، ط2، دار النشر فرانز شتايز، 515.
- 18- ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقا، ت709 هـ/ 1309م، 1966م، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، د.ط، دار صادر، 360.
- 19- ابن عبد الحق، عبد المؤمن، ت739هـ/ 1338م، 1992م، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، دار الجيل، 1620.
- 20- ابن العبري، غريغوريوس بن اهرن، ت685هـ/ 1286م، 1994م، تاريخ مختصر الدول، ط2، دار الرائد اللبناني، 623.

31- الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد ، 468هـ/ 1075م ، 1992م ، أسباب النزول، ط2، دار الإصلاح

،488.

• المراجع العربية والمعربة:

(1) إقبال، عباس، 1984م ، الوزارة في عهد السلاجقة، د.ط ، مكتبة المهتدين الإسلامية، 526.

(2) أمين ، حسين، 1965م ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ط1، منشورات المكتبة الأهلية ، 487.

(3) يارتولد، فاسيلي ، 1981م، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

،1040.

(4) الباشا ، حسن ، 1990م، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ط1، دار النهضة العربية ، 160 .

(5) براون ، إدوارد جرانفيل ، 1954م ، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، مكتبة الثقافة الدينية، 747.

(6) التميمي، حمدي، 2013م، السلاجقة وموقفهم من الخلافة العباسية في العراق ،مجلة آداب الفراهيدي، ع 16، مج2، 458-485

(7) حسن، حسن ، 1996م، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، دار الجيل ومكتبة النهضة

المصرية، 699.

(8) حسنين، عبد المنعم محمد، 1982م، إيران والعراق في العصر السلجوقي ، ط1، دار الكتاب اللبناني، 206.

(9) حسنين، عبد النعيم محمد ، 1975م ، دولة السلاجقة، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية، 195.

(10) حسون، محمد ضايح، 2013م، الحلة في العصر العباسي دراسة في أحوالها السياسية والإدارية، ط1، مطبعة دار

الصادق، 180.

(11) الحصونة، رائد، و العيساوي، علاء، 2011م ، آثار الاحتلال السلجوقي للعراق على الأوضاع الاجتماعية في بغداد

، مجلة آداب البصرة ، العدد 57 ، 203-222.

- (12) حلمي، أحمد كمال الدين، 1975م، *السلجوقية في التاريخ والحضارة* ، ط1، دار البحوث العلمية، 442.
- (13) الحلبي، يوسف كركوش، 1965م ، *تاريخ الحلة* ، ط1، المطبعة الحيدرية، 256.
- (14) خماش ، نجدة ، د.ت ، *الموسوعة العربية " قبيلة أسد "* .
- (15) زهراو مطشر، رعد ، 1987م، *عصر الخليفة المقتفي لأمر الله* ، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة البصرة ، 328.
- (16) الزركلي ،خير الدين، 2002م ، *الأعلام* ، ط15 ، دار العلم للملايين ، 355.
- (17) الدوري، عبد العزيز ، 2007م ، *مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي* ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، 135.
- (18) سلمان، حمود، 2010م، *علاقة الخليفة المسترشد بالله بالسلطنة السلجوقية* ، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية، 525-503.
- (19) الشنقيطي، أحمد الأمين، د.ت ، *المعلقات العشر وأخبار شعرائها* ، ط1 ، 180 .
- (20) طقوش، محمد سهيل، 2016م ، *تاريخ السلجوقية في خراسان وإيران والعراق* ، ط2، دار النفائس ، 272.
- (21) علي، جواد، 1993م ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام* ، ط2، منشورات جامعة بغداد ، 664 .
- (22) القزويني، مهدي، 1963م ، *أنساب القبائل العراقية وغيرها* ، ط3 ، منشورات المكتبة الحيدرية ، 151.
- (23) القوصي عطية، 1993م ، *تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية* ، ط1، دار النهضة العربية، 164.
- (24) لين بول ، استانلي، 2006م، *تاريخ الخلفاء والسلطين والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري/ العاشر إلى التاسع عشر الميلادي* ، ط1، الدار العربية للموسوعات ، 368.

